

## إدارة الوقت والثقافة



لا يمكن لإدارة الوقت أن تقدم ما هو مطلوب منها إن لم تأخذ بنظر الاعتبار ثقافة المحیط الذي تعمل فيه، ففي المجتمعات الغربية، يمثل العمل في إطار الوقت وإدارته وتنظيمه عنصراً يكاد يكون مقدساً والعاملين في ضوء ذلك هم أشبه بالكهنة أو النساك، كوجه منوجه المبالغة باحترام الوقت وإعلاء قيمته. وإلى ذلك يعزز الكثير من المفكّرين والعلماء والقادة ما وصلت إليه هذه المجتمعات من مدنية ورقي وتحضر اليوم. إنَّ هذا الوصف ليس حكراً على المجتمعات الغربية، فإنَّ كثيراً من المجتمعات الشرقية اليوم تتبنى هذا المفهوم رغم أنَّها لم تصل بعد إلى ما وصلت إليه المجتمعات الغربية، غير أنَّ الجذور الحضارية للمجتمعات الشرقية أكدَت منذ آلاف السنين أنَّ الأُمم والشعوب التي عاشت في الشرق رفعت أهمية الوقت وإدارته وتنظيمه إلى حد القداة حتى أنها أنتجت لنا معظم ما يعرف اليوم بعجائب الدنيا. فعلى سبيل المثال، منجزات بحجم الأهرامات الفرعونية في مصر وسور الصين العظيم تبدو وكأنها مشاريع استهلكت أوقاتاً طويلاً لإنجازها ناهيك عن حجم الجهود البشرية والإمكانات المادية التي بُذلت من أجلها. لكن الممعن للنظر إلى مثل هذه الإنجازات البشرية لا بدَ وأن يخرج بنتيجة مبدئية مفادها أنَّ هذه الشعوب قد أدارت الوقت بشكل جيد ونظمته قبل أن تنجز هذه الأعمال، والواقع يثبت ذلك، فالأعمال العظيمة اليوم لا بدَ وأن تسيقها خطوة محكمة لإدارة الوقت وتنظيمه قبل الشروع بالعمل فيها وإن دخلت عنق زجاجة التوقيتات الخاصة بالمشروع. وربَّ قائلٍ يقول إنَّ الوقت كان مفتوحاً أمام الفراعنة المصريين القدماء لبناء أهراماً لهم، إلا أنَّ الشواهد التاريخية تقول غير ذلك، فتلك الشعوب والأُمم الغاربة كانت تعيش التحديات والصراعات والحروب والأزمات والكوارث بشكل يكاد يكون يومياً، وعليه فإنَّ إدارة الوقت وتنظيمه كانت أمراً محتوماً ولا جدال فيه. وإنَّ الآراء التقنية والفنية التي تناولت الأهرامات تؤكد أنَّ العمل بموجب جداول زمنية محددة مع توزيع دقيق للوقت قبل الشروع بالعمل في بنائها وخلال ذلك إنما هو أمر بديهي بسبب الهندسة الدقيقة التي استخدمت لإنجاز هذه المروج العملاقة. بل إنَّ هناك من بين الآراء التقنية المتخصصة ينص على أنَّ عملية رفع الأحجار التي تكوِّن الهرم الواحد تم بموجب توافق زمني دقيق للغاية من جهازه كافية ما يدل على اهتماء شديد بالوقت وتنظيمه.

ثمٌ جاءت بعد ذلك الحضارة العربية الإسلامية التي أسست دولة حضارية - ربما هي من أعظم الدول الحضارية التي قامت عبر التاريخ - في غضون عقود قليلة من الزمن، ويزخر تراث هذه الحضارة بالنصوص المقدسة والتاريخية والعملية لإدارة الوقت وتنظيمه، فالعديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال ووصايا الحكماء والمصالحين والعلماء كلّها ترفع قيمة الوقت وإدارته وتنظيمه ابتداءً بمواقيت الصلاة وتوقیتات العبادات الأخرى كالصوم والزكاة والحج. وقد شهد العصر العباسي ظهور المدارس العلمية التي أدارها علماء رسخوا الأسس الصحيحة للبحث العلمي الذي يقوم على ركائز منها بلا شك الوقت وإدارته، حتى تکللت ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - بصناعة أول ساعة مائية في التاريخ في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد والتي أهدتها لشارلمان ملك فرنسا، فضلاً عن نتاج هذه الحضارة الذي امتد لآيامنا هذه من خلال العلوم والمعارف التي أرسى أساسها وأصولها العلماء العرب المسلمين الذين اعتادوا احترام الوقت وحسن إدارته وتنظيمه.

في ظل الواقع المعاصر، نجد أنَّ السمات الثقافية للمجتمع تلقى بطلالها على إدارة الوقت وتنظيمه عند مختلف المستويات في المجتمع، وإنَّ ارتفاع المستوى الثقافي في المجتمع يرافقه غالباً حسن إدارة الوقت وتنظيمه، مع استثناءات قليلة للغاية فأولى بوادر الثقافة في المجتمع تمثل في الأخلاق العامة والثقافة العامة واحترام الآخر وبلا شك ارتفاع قيمة الوقت والاهتمام به. وإنَّك لا تجد إنساناً على قدرٍ عالٍ من الثقافة في مجتمع مدني متحضر ينام ساعاتٍ تتجاوز ربع عدد ساعات اليوم الواحد (8 ساعات) لأنَّ الحفاظ على المكتسبات الثقافية والمدنية وتطويرها وتعزيزها هو أمر بحاجة إلى الوقت. ومع ذلك، فإنَّ هذا الكلام لا يمثل قانوناً أو نظرية طبعاً، فهناك من بين شعوب الأرض من لا ينامون إلا ساعاتٍ قليلة لكنك تجدهم في مؤخرة ركب الثقافة والمدنية اليوم، والسبب طبعاً هو فقدانهم لعناصر أخرى مهمة من عناصر اكتساب الثقافة والمدنية أو أنَّهم لا يديرون الوقت المتاح لهم كما ينبغي، وبالتالي تهدر الساعات الطويلة التي يقضونها "مستيقظين" بأمور ونشاطات وفعاليات لا طائل منها. وهنا يمثل النمط للتفكير لدى أفراد المجتمع عنصراً حاسماً للغاية.

لنسق مثلاً بسيطاً جدًا للتعبير عن النمط الثقافي في التفكير لدى الشعوب، لو وقف عشرون طائراً على غصن شجرة وقام صياد بتصويره بندقيته تجاه تلك الطيور ثم أطلق النار وأصاب واحداً منها، ثم توجهت بالسؤال التالي إلى أنسٍ من ثقافات مختلفة: "ما هو عدد الطيور المتبقية على غصن الشجرة؟". هنالك من سيجيبك على الفور أنها تسع عشر طائر فقط، وقد يجيبك آخر أنَّه لم يتبق أي طائر فوق الغصن، وقد يجيبك ثالث وفقاً لمفهومه أنَّ طائراً واحداً فقط هو الذي بقي فوق الغصن. وكلُّ من هذه الإجابات مبررات عقلية نابعة من ثقافة الفرد والمجتمع، فصاحب الإجابة الأولى قد يكون إنساناً يعيش في مجتمع مدني متحضر لم يشاهد بأم عينيه يوماً رجلاً يصيد الطيور فاعتبرها مجرد مسألة حسابية بسيطة، أما الثاني فلعله عاش أو يعيش في مجتمع ذي توجهات فكرية معقدة إلى حد ما فافتراض أنَّ ما بقي على الغصن فيما قد يbedo الثالث يعيش في مجتمع ذي توجهات فكرية معقدة إلى حد ما فافتراض أنَّ ما بقي على الغصن هو الطائر الذي أصابته الإطلاقة فلم يسقط فيما طارت الطيور الأخرى خوفاً من الإطلاقة. ولعل القارئ الكريم استنتج مبررات ومنطلقات كلٍّ منهم في الإجابة عن السؤال.

خلاصة القول، إنَّ واحدة من أهم ركائز المجتمع المثقف والمتحضر هي احترام الوقت وإدارته وتنظيمه وصولاً إلى استثماره بالشكل الأمثل.

إنَّ إدارة الوقت تتأصل بعمق في ثقافة المجتمع من خلال نمطين أساسيين هما النمط الخطي والنمط المترافق، في النمط الخطي تتضمن إدارة الوقت أداء مهمة واحدة من قبل الشخص الواحد مع تخطيط دقيق وأهداف واضحة واتجاه محدد وفاعلية عالية وهيكلية رصينة مع ضغف الجانب الاجتماعي في العمل الذي يبدأ مبكراً وينتهي مبكراً خلال اليوم مع تثمين لكتافة الأداء وتحديد واضح للسياقات والمسارات التي يتبعها العمل. أما في النمط المترافق فإنَّ هنالك عدة أشخاص يقومون بعدة مهام في وقت واحد مع تخطيط ضعيف نسبياً وأهداف غير واضحة غالباً وتوجيه اجتماعي للعمل وفاعليه أقل وهيكلية مرنة مع قوة وشيع الجانِب الاجتماعي في العمل الذي يبدأ متأخراً في الصباح وينتهي متأخراً بعد الظهيرة مع اعتبار كفاءة الأداء أقل أهمية من الإنسان وانَّ السياقات والمسارات التي يتبعها العمل غير محددة بشكل كامل أو أنَّها محددة ولكن لا يتم إتباعها. تحدد تقارير المنظمات الدولية المختلفة دولاًً معينة كأمثلة لهذه النمطين، فالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وألمانيا وسويسرا والدول الإسكندنافية هي أمثلة للنمط الأول، وتعد دول أفريقيا والشرق الأوسط وأميركا اللاتينية وجنوب إيطاليا واليونان أمثلة للنمط الثاني، فيما تمثل أستراليا مثلاً يجمع بين النمطين أعلى. كذلك فإنَّ مقاطعات ومناطق ومدن البلد الواحد يمكن أن تتبادر في النمط المتبوع، ففي مدينة مثل نيويورك على سبيل المثال يفكر الناس بالوقت وإدارته واستثماره بشكل مختلف إلى حد بعيد عن طريقة تفكير الناس في مدن الغرب والجنوب الأمريكي.

والسؤال هو أي النمطين أفضل من الآخر؟

إنَّ الأميركي الذي يزور إيطاليا للمرة الأولى يمكن أن يدهشه إلى حد بعيد تدني كفاءة الأداء،

فيما يرى الإيطاليون أنَّ الأميركيين يهتمون بالأشياء والمؤسسات أكثر من اهتمامهم بالإنسان. وهذا الكلام بجزءٍ منه قد ينطبق على العراقي الذي يزور دبي لأول مرة والعكس.

ولعل الحل الناجع يمكن في المزج الإيجابي ما بين النمطين بحيث أنَّ الإنسان من أي ثقافة كانت يستمتع بالحياة في ظل مجتمع منظم يولي أهمية كبيرة للوقت والاستثمار، ونتحدث هنا عن ضرورة التكيف مع المحيط بجوانيه الثقافية أوَّلاً ومن ثم بجوانيه الأخرى، فإنَّنا نجد أنَّ الطالب العربي المبتعث إلى بريطانيا مثلاً يعود إلى بلاده بعد إكمال دراسته وقد اعتاد على حياة المجتمع البريطاني، فتراءه يعاني من حالة تدني كفاءة الأداء في مجتمعه على الرغم من الاهتمام الاستثنائي الذي يحيطه به هذا المجتمع فيعتبره كفاءة علمية وربما ثروة وطنية. ▶

المصدر: كتاب مهارات إدارة وتنظيم الوقت